الافتتاحية

اختبارات النظام العالمي

استغلت الولايات المتحدة الأميركية (وحلفاؤها) في أوروبا "هزيمة" الاتحاد السوفياتي في نهاية حرب باردة قاسية لتسعى الى فرض رؤيتها على النظام العالمي فتؤسسه على مقاسها الآحادي.وهكذا خلت الساحة الدولية مباشرة بعد انتهاء هذه الحرب لتفرض واشنطن سيطرتها على العالم في فترة التسعينيات وليعلن مفكرو الليبرالية الجديدة نهاية التاريخ بانتصار النظام الرأسمالي.

وقد ساعد على ترويج هذه الرؤية انشغال روسيا بعد تفكك الاتحاد السوفياتي بمشكلات انكفائها الى مجال حيوي محدود وتسليمها،في عهد بوريس، يلتسن لقيادة الغرب والنموذج الأميركي في نظام الحكم والقيم الاجتماعية. فكانت النتيجة استباحة أميركية للمناطق الجديدة "المكتشفة" في روسيا ومحيطها.

غير ان التاريخ وإن كان يسلم زمام القيادة للأقوى عسكريا واقتصاديا إلا أنه يبقى عصياً على ذلك في المجال الحضاري والثقافي والروح الوطنية والقومية والدينية.

تعتبر روسيا واحدة من الأمبراطوريات العالمية ذات الدور المركزي في مسيرة التاريخ البشري.واذا كانت مرت في فترات تراجع في مواجهة الخارج، الغربي غالبا، فإنها لم تفقد لحظة شعورها بتميزها وقوتها وروحها ومساهمتها في الحضارة الانسانية،فأعطت ثلة من أكبر الكتّاب ذوي النزعة الانسانية التي تنم عن حضارة عظيمة وتصميم على دور محوري في الحضارة البشرية.

وقِسْ على ذلك بالنسبة للصين وحضارتها وقيمها وعلى الهند واسهاماتها وعلى ايران وحضارتها. ولا يخرج العرب عن هذا المعيار وإن مروا منذ اكثر من ألف عام في عهود مظلمة من الاستعمارات المتتالية، الصليبية والعثمانية والانكليزية والفرنسية. ولو لم تكن الروح المبدعة والقيمية مورد هذه الحضارة ولباسها لما عرفت طوال هذه الفترات هذا الكم

الهائل من الثورات والتمردات والعصيانات على الخارج توقا للتحرر والاستقلال من محمد علي باشا الى سلطان باشا الأطرش وعمر المختار الى جمال عبد الناصر وأحمد بن بيلا الى المقاومة المستمرة للإحتلال الاسرائيلي.

منذ ان تسلم فلاديمير بوتين زعامة الاتحاد الروسي في العام ٢٠٠٠ ولا يزال، خلا فترة اربع سنوات حكمتها اعتبارات دستورية، عادت روسيا الى روح وطنيتها وقوميتها التي لا تستقيم إلا بإعادة الاعتبار للتوازنات الدولية.ومن هنا كانت الجهود لإقامة تكتلات دولية جديدة تعيد التوازن الى النظام العالمي في وجه الهيمنة الآحادية الأميركية. فكان ظهور مجموعة البريكس التي تضم الى روسيا كلا من البرازيل والهند والصين وجنوب أفريقيا في العام ٢٠٠٩ . وكان أيضا ظهور منظمة شنغهاي في العام ٢٠٠١ التي تضم روسيا والصين وبعض دول آسيا الوسطى.كما تأسست مباشرة بعد تفكك الاتحاد السوفياتي رابطة الدول المستقلة التي كانت جزءا من هذا الاتحاد.

ولقد دخلت روسيا في أكثر من امتحان صعب لسبر قابليتها لتكون من جديد قوة عظمى قادرة الى ان تكون ندا للولايات المتحدة الأميركية.ومن أولى تلك الاختبارات منع جورجيا من ان تشكل شوكة في خاصرة روسيا في ماعرف بالحرب الروسية ـ الجورجية في آب/اغسطس من العام ٢٠٠٨.

غير ان الاختبار السوري، منذ العام ٢٠١١، كان الأصعب بالنسبة لروسيا حيث كانت محاولة اسقاط سوريا بيد المحور العربي ـ الغربي ـ التركي ممراً اكيداً لضرب الصعود الروسي وإخراج روسيا من الشرق الأوسط ومن المتوسط والمياه الدافئة. ولا يزال الاختبار السوري لروسيا مفتوحا وإن كانت الكفة باتت أقرب لما تشتهيه موسكو (وبكين) ومعها المحور الإيراني ـ العراقي ـ السوري.

الحرب الأميركية من اجل الاستمرار في قيادة النظام العالمي الجديد لم تتوقف عند سوريا بل إنها بسبب اخفاقها في الساحة السورية حاولت نقل المعركة الى "الداخل" الروسي عبر الانقلاب على الرئيس الأوكراني الشرعي فكتور يانوكوفيتش واستبداله بحكومة موالية للغرب. والولايات المتحدة في هذا الانقلاب إنما مست بأحد الخطوط الحمر المهددة للأمن القومي لروسيا وعلى حدودها مباشرة.ولكن كما كانت الأزمة الجورجية إيذانا بعودة "الدب الروسي" الى الساحة الدولية وكما كانت سوريا ترسيخا لهذه العودة

فلن تكون الأزمة الأوكرانية إلا خطوة أخرى مهمة على طريق فشل الأميركي في أن يواصل آحاديته في قيادة العالم.

لا تنبع مصادر الفشل الغربي من أزماته الاقتصادية المنهكة فقط بل من ارادة القوى العالمية الأخرى في أن يكون لها مكان تحت الشمس يعكس قيمها الحضارية وتصميمها على ان تعيش بحرية وكرامة وعدالة. وبطبيعة الحال فهذه لا تتحقق بالتمنيات والتفرج بل بامتلاك أسباب القوة والجهد الدؤوب على كل المستويات وهذه ميزة القوى الحضارية الحيّة على مرّ التاريخ.

رئيس التحرير